

## التحول الاقتصادي والاجتماعي ببلاد زعير في مطلع القرن العشرين

د. ميلود سواملة

دكتوراه في التاريخ المعاصر، وزارة التربية الوطنية

أكاديمية الرباط سلا القنيطرة

المملكة المغربية

### الملخص:

شهدت قبيلة زعير خلال القرن العشرين تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة، بفعل التغلغل الاستعماري الفرنسي الذي أحدث قطيعة واضحة مع أنماط العيش التقليدية السائدة، فقد أعاد الاستعمار تنظيم المجال الفلاحي بزعير عبر مصادرة الأراضي الجماعية وتوجيهها نحو الاستغلال العصري المرتبط بالاقتصاد الفرنسي الرأسمالي، كما عمل على إدماج السكان المحليين في الاقتصاد النقدي من خلال فرض الضرائب وتشجيع العمل المأجور، مما أدى إلى تراجع أنماط التضامن القبلي التقليدية، وأسهمت هذه السياسات في تفكك البنية القبلية لزعير القائمة على العصبية والقرابة وافتصاد الكفاف، بالإضافة إلى ظهور فئات اجتماعية جديدة، وهم الملاكين الجدد مثل المعمرون الفرنسيين، والعمال الزراعيين، والوسطاء المحليين المرتبطين بالإدارة الاستعمارية.

**الكلمات المفتاحية:** زعير، التحول الاقتصادي، التحول الاجتماعي، الحماية الفرنسية، البنية القبلية

## Economic and Social Transformation in the Zaër Region at the Beginning of the 20th Century

### Abstract:

The Zaer tribe experienced profound economic and social transformations during the twentieth century as a result of French colonial penetration, which created a clear rupture with prevailing traditional ways of life. Colonial rule reorganized the agricultural landscape of Zaer through the expropriation of communal lands and their redirection toward modern forms of exploitation linked to the French capitalist economy. It also integrated the local population into the monetary economy by imposing taxes and encouraging wage labor, leading to the decline of traditional patterns of tribal solidarity. These policies contributed to the disintegration of Zaer's tribal structure, which had been based on kinship and group cohesion, and to the emergence of new social categories, such as new landowners—particularly French settlers—agricultural laborers, and local intermediaries connected to the colonial administration.

**Keywords:** Zaër, economic transformation, social change, French Protectorate, tribal structure

#### مقدمة

في مطلع القرن العشرين، دخلت قبيلة زعير مرحلة تاريخية حاسمة اتسمت بتحويلات اقتصادية واجتماعية وبنوية عميقة، جاءت نتيجة تفاعل معقد بين عوامل داخلية متراكمة وضغوط خارجية متزايدة، خاصة مع اشتداد التغلغل الاستعماري الفرنسي بالمغرب. فقد شكّل هذا الظرف مرحلة انتقالية مفصلية في تاريخ القبيلة، انتقلت خلالها من وضع تقليدي قائم على التوازنات القبلية إلى واقع جديد فرضته التحويلات السياسية والاقتصادية التي عرفها المغرب قبيل فرض الحماية وبعدها.

وقبل هذه التحويلات، كانت قبيلة زعير تمثل مجالا قبيليا متماسكا، يقوم اقتصاده أساسا على الرعي والزراعة التقليدية المعتمدة على الاستغلال الجماعي للأرض، كما كانت بينته الاجتماعية تستند إلى منظومة من الأعراف والتقاليد القبلية، وإلى علاقات تضامنية قوية تنظمها العصبية والقرابة، في ظل ارتباط نسبي بالمخزن ضمن نظام السيادة التقليدية. غير أن هذه التوازنات بدأت تعرف اهتزازا تدريجيا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بفعل التحويلات الكبرى التي عرفها المغرب، والمتمثلة في تراجع السيادة المخزنية، وتزايد التدخلات الأجنبية، ثم فرض نظام الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912. فما هي التحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها قبيلة زعير خلال فترة الحماية؟

#### أولا: التحول الاقتصادي

على مستوى الإنتاج الزراعي فقد خضع للظروف المناخية العامة بالمنطقة شأنها في ذلك شأن باقي المناطق البوروية بالمغرب، فكلما كانت التساقطات مهمة ومنتظمة على طول السنة، كلما كان الإنتاج جيدا، وما هو معروف محليا أن مختلف المنتجات الزراعية من الحبوب تتطلب ثلاث أحداث مطرية مهمة، فالحدث الأول خلال مرحلة الإنبات، والحدث الثاني يجب أن يتصادف مع نمو النبات وتكوين الساق، بينما الحدث الثالث وهو المهم والأكثر تأثيرا على الموسم الفلاحي ويجب أن يتزامن مع مرحلة الملاء والإثمار أو الإسبال، مع وجود درجة حرارة مناسبة في كل مرحلة على حدة، وإذا تأخرت الأمطار عن مرحلة من هذه المراحل ينعكس ذلك سلبا عن المحصول الزراعي والموسم الفلاحي بشكل عام وبالتالي فالحرارة والرطوبة من حيث مقاديرهما وتوزيعهما في الزمان والمكان يتظافران لخلق ظروف مناخية معينة، ومناسبة للمنتوج الزراعي<sup>1</sup>.

تتواجد أهم الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة بمرشوش وأولاد خليفة وولاد كثير بمركز الرماني<sup>2</sup> وهذا ناتج عن الموقع المهم لهذه المناطق، إذ تتواجد بها أفضل أنواع الأتربة مثل الترس والحجري اللتان تستمدان الرطوبة من المحيط في غياب تأثير المرتفعات الجبلية. وقد اهتم المعمرون بشكل كبير بهذه التربة عقب فرض الحماية على المغرب سنة 1912.

تنتشر بزعير مجموعة من الضيعات محاطة بسياج، ومنتظمة تتميز بصغر حجمها وتتوفر على آليات فلاحية، كما كانت مكانا لتخزين الحبوب، وبحوار هذه الضيعات الفلاحية نجد بعض الأنواع السكنية التقليدية مثل النواله والخيمة ومنازل العمال والرعاة<sup>3</sup>.

لم يعرف النشاط الزراعي في المغرب بشكل عام وزعير بشكل خاص تطورا كبيرا في هياكله طيلة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فكانت الظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ تتحكم في إنتاجها، وقد عرف الإنتاج عدة تقلبات حيث يعرف ازدهارا تارة وانكماشاً تارة أخرى طيلة القرن التاسع عشر. فالأرض الزراعية لم تكن خصبة على العموم، ماعدا المناطق المتواجدة بلف المزارعة

<sup>1</sup> بلغقيه محمد، أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع، ط 2، 1987م س، ص: 18.

<sup>2</sup> Aubert P, *Le pays des Zaër*, **Bulletin économique et social du Maroc**, Volume. XXIV, Novembre 1960 février 1961, p: 232.

<sup>3</sup> Aubert P., *Le pays des Zaër*, Op. cit, p :232.

نواحي مرشوش والرماني، وكانت الظروف المتذبذبة وتوالي سنوات الجفاف تقف عائقا أمام تطور هذا النشاط. أضف إلى ذلك الوسائل التقليدية المستعملة في هذا المجال. ويمكن القول بأن الأراضي الزراعية على العموم كانت معاشية وتعاني من التأخر ومن ضغوط الضرائب المفروضة على المزارعين.

أما بيع الأراضي عند المغاربة فيما بينهم فكان يتم حسابها بطريقة معينة، وهو تقدير عدد الزوجات من الدواب التي يمكن أن تحرثها، والزوجات جمع زوجة، وهي عملية الحرث بدابتين. وقع التراضي على الشفعة عند الاقتضاء، ثم تحدد القسمة بعد البيع بشكل مضبوط بواسطة حبل وعلى طريقة عرفية محددة. وتقرأ الفاتحة بعد ذلك ثم تعلم القسمة الجديدة بحجر كبير<sup>1</sup>.

وتتم عملية كراء الأراضي للأجانب بسهولة تامة، حيث يمكن للفلاح الصغير كراء أرضه لشخص آخر يمتلك وسائل فلاحية حديثة، وقد تم عرض أكثر من 1500 هكتار من الأراضي للكراء بالكفيان، وهكذا تمت 560 عملية للكراء بهذه المنطقة؛ كما انطلق الأوربيون في مبادرات خاصة عبر شراء الأراضي وكراءها وخاصة أراضي الجموع التي ينتهي مصيرها بالبيع، ففي دائرة الرماني كان ثلث الأراضي المستغلة من طرف المعمرين الفرنسيين مكتراة بالربع أو الخمس من الإنتاج، وكانت تحدد مدة الكراء في خمس سنوات على الأقل.

أما طرق الاستغلال وملكية الأراضي، فيرجع القسم الأكبر منها إلى الجماعات أو إلى المخزن ثم يليهم الخواص والأموال الحبيسة. وكانت أجزاء من أملاك المخزن تابعة إما لقبائل تم توطينها، أو تحريكها أو لمجموعة من الجيش النظامي أو لقبيلة تقطع أرضا مقابل حماية المنطقة ووضع نفسها رهن إشارة المخزن عند الضرورة. وهناك أيضا التفنيدات التي تخصص لأفراد أو عائلات أو زوايا إما بمقابل أو بدونه وهكذا فقد كانت أغلب الملكيات جماعية طيلة القرن التاسع عشر<sup>2</sup>.

تعتمد ساكنة زعير على ثلاث دورات زراعية أساسية، لكن الدورة الأكثر انتشارا هي الدورة الزراعية الثنائية. الحقلية، إراحة الأرض. وخاصة في الأراضي الصخرية التي تعتبر أقل خصوبة وتتواجد على الخصوص بجوار الغابات.

أما الدورة الزراعية الثانية: فيعوض فيها إراحة الأرض بزراعة الخضراوات، مع ترك قطعة الأرض، ويبقى هذا التنظيم تناوب ثنائي.

أما التنظيم الزراعي الثالث الذي بدأ العمل به مع دخول المعمرين الأجانب فهو أكثر تطورا ويسمى التناوب الزراعي الثلاثي " بقوليات، حبوب، إراحة التربة". وتبين الخطاطة التالية أهم مراحل وطرق الاشتغال به.

هكذا يتضح أن غالبية أراضي زعير تستغل لزراعة الحبوب حيث تمثل 56.6% من الأراضي الصالحة للزراعة كما يبين الجدول التالي الخاص بجماعة الزحيليكة<sup>3</sup> أما بالنسبة للخضراوات والشعير والقطاني لا تمثل سوى 3.2% من الأراضي الصالحة للزراعة والسبب في ذلك هو شح الموارد المائية بالمنطقة، كما نجد أن المواد العلفية تحتل نسبة 11.8% .

تمثل الحبوب العمود الفقري للإنتاج الزراعي بزعير، وذلك راجع لعوامل طبيعية وأخرى ذاتية، حيث بلغت المساحة المزروعة حوالي 76767 هكتارا متجاوزة باقي المزروعات الأخرى بأكثر من النصف. بيد أن سكان المنطقة لا يتعاطون للمزروعات الشجرية مثل الزيتون وغيره حيث لا تتجاوز المساحة المخصصة لها سوى 1998 هكتار عكس المناطق المجاورة لزعير مثل تادلا، ويرجع

<sup>1</sup> إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، ج 3، ط 2، ص: 497.

<sup>2</sup> إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، م س، ص: 497.

<sup>3</sup> مصلحة الأشغال الفلاحية بجماعة الزحيليكة.

السبب الأول في عدم تواجد فرشة مائية مهمة، أما السبب الثاني فيتجلى في تعاطي أهل زعير لنشاط الرعي وبالتالي صعوبة تواجد المغروسات في وجود قطع مهم من الأبقار والأغنام والماعز، مع تسجيل حضور مهم للقطاني حيث وصلت المساحات المخصصة لها 17010 هكتار وتنتشر بمنطقة البراشوة والمناطق المجاورة مثل مرشوش وعين السبيت والنخيلة. وتتواجد ضيعات فلاحية كبرى مخصصة لزراعة الكروم الموجهة لإنتاج الخمر ما بين البراشوة والرماني خاصة بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة.

وعلى مقربة من فنطرة وادي ازبيدة تواجد معمل أسسه مُعمري زعير لعصير الخمر خلال النصف الثاني من القرن العشرين وهي من أكبر المعامل في المغرب في ذلك الوقت، والقرب منه دور عصرية بحداثتها للمشرفين على تسيير شؤونها، كما توجد الشركة الاحتياطية للفلاحة التي يتواجد بها معملان كبيران لجمع الحبوب وتوزيعها على المشتركين معها<sup>1</sup>.

إن تطور الزراعة بهذه المنطقة رهين بطبيعة التربة وتغيرات المناخ وكمثال لمنطقة زراعية توجد أولاد خليفة بمركز مرشوش، الذي يحتوي على تربة غنية جدا والمتمثلة في الترس "التشيرنوزيوم".

من خلال مقارنة هذه الإحصاءات يتضح جليا ضعف المنتج الزراعي المحلي (قطاع المغاربة) بالمقارنة مع المستعمر الفرنسي (قطاع المعمرين) الذي له مردودية جيدة، وهذا الاختلاف من حيث المردود راجع إلى اختلاف التقنيات المستعملة بينهما وهكذا فالقطاع العقاري الاستعماري بزعير سيؤدي إلى عدة مضاعفات على مستوى البنات الفلاحية بالمنطقة. وكانت النتيجة الحتمية أن تحول هؤلاء الفلاحين الصغار إلى عمال في ضيعات المعمرين للقيام بالأعمال الفلاحية مثل اجتثاث الأرض أو الحرث، واهتم المعمرون الفرنسيون بقيمة الإنتاج رغم ضعف الماشية التي يتوفرون عليها مقارنة بساكنة زعير وهذا راجع بالأساس إلى الوسائل الحديثة التي يتم استعمالها.

تمثلت هذه المساحة الزراعية الثلث خلال الفترة المعاصرة على الصعيد الوطني وتساهم بنسبة الربع من الانتاج الوطني 25%، مع تسجيل زراعة ضعيفة للشعير مقارنة بباقي أنواع الحبوب الأخرى رغم عراقة هذا النوع من الزراعة وعدم حاجته الى الماء بكمية كبيرة وقدرته على التأقلم مع أحوال الطقس، وهذا ناتج على تحول نمط عيش ساكنة زعير، حيث لم يعد يتجاوز 22% مقارنة بباقي المحاصيل الزراعية الأخرى<sup>2</sup>.

ومنذ سنة 1932 اهتم المعمرون الفرنسيون بزراعة الكروم، وعرف هذا النوع من الزراعة تطورا مهما حيث تم غرس مساحات شاسعة من مختلف أنواع الكروم، خصوصا ذات المردودية الجيدة مثل "الموسكا" و"الأليكونت" و"فرينا" و"الكليريت"، وكان يتم تصدير حوالي 10% من الانتاج، في حين استغللت نسبة مهمة منه في إنتاج أجود أنواع الخمر، لذلك سيتم تشييد معصرة للخمر بالرماني التي كانت تعد من أكبر معاصر الخمر في المغرب.

## 2. تربية المواشي

أما على مستوى تربية المواشي فقد عرف القطيع بزعير تطورا تبعا للأصناف، حيث بلغ عدد الرؤوس سنة 1916 363199 رأس، وتطور هذا العدد حيث وصل إلى 1375000 رأس سنة 1956، وهذا يوضح أن القبيلة كانت تتوفر على قطع مهم، الشيء الذي يبين أهمية المراعي المتواجدة بالمنطقة وكذا أهمية الاستقرار وانتشار الأمن. وفيما يلي جدول يوضح أنواع القطيع وعدد الرؤوس بين سنتي 1916 و1956.

<sup>1</sup> ابن سودة المري محمد بن عمر، قبيلة زعير قديما وحديثا، الجزء 1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1977، ص: 184.

<sup>2</sup> Aubert P, *Le pays des Zaër*, op.cit. p: 232.

جدول رقم 1

الصف عدد الرؤوس	الأبقار	الأغنام	الماعز	المجموع
عدد الرؤوس 1916	37567	201329	124303	363199
عدد الرؤوس 1956	40000	735000	600000	1375000

التركي إبراهيم، إشكالية استدامة الماء بمنطقة زعير بين قلة الموارد وتزايد الطلب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، مرقونة، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، 2008، ص: 91.

ونظرا لأهمية قطاع الماشية في حياة زعير كان لزاما على الفلاح الزعيري في كثير من الأحيان البحث عن أراضي قريبة من المراعي بهدف شراءها لسهولة الحصول على الكأ لماشيته.<sup>1</sup> حيث كانت العلاقة جيدة بين الكفيان وقبائل الشاوية وصلت إلى حد المصاهرة وتم إطلاق عدة تسميات على هذه الأنواع من العلاقة مثل "الطاطا" و"الصحبة"، حيث كان بإمكان الفلاح الزعيري التوجه بقطيعه نحو قبائل الشاوية حينما تقل الأمطار بزعير وتأثر على أماكن الرعي وكذلك الشأن بالنسبة لأهل الشاوية.<sup>2</sup>

عرف النشاط الرعوي بزعير تراجعاً كبيراً لعدة عوامل أهمها توالي سنوات الجفاف، واجتثاث الغابات، وقلة المجالات المخصصة للرعي خاصة في الغابات المجاورة. وهجرة أغلب الفلاحين الكبار نحو المدن الكبيرة مثل عين العودة والرباط، كما كان للأوبئة دور حاسم في تخلي الزعيريين عن رعاية قطاع الماشية. وقدمت مصلحة الضرائب إحصاء عدد الماشية المتواجدة بمنطقة زعير وهي كالتالي:<sup>3</sup>

أما بالنسبة للمعمرين فقد بلغ عدد رؤوس المواشي التي كانت في ملكيتهم على الشكل التالي:

جدول رقم 2

أنواع المواشي	عددتها
الخنازير	4297
الأبقار	2900
الأغنام	14121
الماعز	2000
المجموع	21518

المصدر: إبراهيم التركي، م س، ص: 93.

وكان كل نوع من المواشي يحتاج إلى مساحة معينة لتربيته، واختلفت المساحات بين المواشي حيث نجد لها كبيرة عن الأبقار وصغيرة عند الماعز، ويوضح الجدول التالي حجم استغلال الأراضي حسب كل نوع.

<sup>1</sup> Aubert P, *Le pays des Zaër*, op. cit, p: 233.

<sup>2</sup> شهادة عبد السلام مول البلاد م س، برنامج الموسيقى في الحياة، قبائل زعير بين الأوتار وغناء الانتجاع، إخراج مولاي يوسف العمراني، القناة الثانية، 1998.

<sup>3</sup> Aubert P, *Le pays des Zaër*, Op.cit p: 246.

جدول رقم 3

4 هكتار		الأبقار
2 هكتار		الأغنام
1 هكتار		الماعز

وفيما يلي يمكن إجمال حجم الهكتارات المستغلة، وعدد الرؤوس عند المغاربة والمعمرين كما يلي:

جدول رقم 4

النتائج	عدد الهكتارات المستغلة	تربية الماشية عند المعمرين	تربية الماشية عند المغاربة	
171600	4	2900	40000	الأبقار
492000	2	11000	235000	الأغنام
72000	1	2000	70000	الماعز
1735600	المجموع			

تطور المواشي في سنة 1916:

جدول رقم 5

37567	الأبقار
201329	الأغنام
<sup>2</sup> 124303	الماعز

يتبين من خلال هذه الجداول الإحصائية أن الأغنام تعد أكبر مصدر للثروة الحيوانية في زعير، حيث كانت تعرف انتشارا واسعا وخاصة في الزحيليّة والغولم، وتعد لحوم أغنام زعير من أجود الأنواع في المغرب، وذلك راجع لعدة اعتبارات أهمها تنوع التضاريس

<sup>1</sup> Aubert P, *Le pays des Zaër*, Op.cit p: 251 .

<sup>2</sup> Michaux Bellaire, Edouard, **Villes et tribus du Maroc**, document et renseignements publiés Sous les auspices de la résidence générale par la mission du Maroc, Rabat et sa région Tome III, les tribus, éditions Ernest leroux, Paris, 1920, p : 167.

والترية المحتوية على بكتيريا تساهم في تحسين جودة المنتج، ولأهمية ما يعرف محليا "بالمركد" 1 وكثرة المراعي. ورغم كل ذلك فإن نظام الإنتاج الفلاحي السائد في قبيلة زعير حتى دخول الاستعمار إليها يركز بالأساس على تربية الماشية في إطار اقتصاد اكتفائي. وظلت تربية الماشية عند المعمرين ضعيفة حيث لم تصل عدد رؤوس قطيعهم من الأغنام سوى 4.47% من مجموع أغنام زعير و6.75% من مجموع أبقارها 2.

كما أولى المعمرين اهتماما كبيرا بتربية الماشية، وكانت نتائجها جيدة خاصة في تهجين بعض الأصناف الحيوانية المحلية، وأخرى جلبوها من الخارج خصوصا أبقار الهند، لعدم استطاعة الصنف الأوربي التأقلم مع بيئة ومناخ زعير المتميز بارتفاع درجة الحرارة والجفاف خلال فصل الصيف. ومن أهم المواشي التي اهتم بها المعمرون نجد الأغنام والأبقار والماعز والخنازير وخصصت لهم أراض شاسعة للرعي تقدر بحوالي سبع هكتارات 3.

اشتهرت قبائل زعير بتربيتها للخيول المتنوعة وهذا ما أكدته مجموعة من الكتابات الأجنبية فدوفوكو أكد "أن زعير يكونون قبيلة قوية تتوفر على عدد مهم من الخيول رغم أن مجالها يتميز بمجموعة من الارتفاعات". نفس المعطى أكده الألماني كيدانفلدت إذ قال: «تمتلك هذه القبيلة القوة عددا كبيرا من الخيول، من النوع الجيد الذي يضاهاه خيول عبدة ودكالة، وقد أخبرني أهالي القبيلة أن عدد خيولهم تتجاوز 40000، بينما يظهر لي أن هذا العدد مبالغ فيه» 4.

### ثانيا: التحول الاجتماعي والديمقراطي

على مستوى السكن قدر رجال الاستخبارات الفرنسية مثل الضابط لوفالوا (Le Vallois) والضابط بلوندلا عدد خيام لفي المزارعة والكفيان في مطلع القرن العشرين على النحو التالي: المزارعة: 4267 خيمة والكفيان: 3820 خيمة. وقد تواجدت بالغوالم وحدها من نفس السنة 296 خيمة، ليرتفع هذا العدد سنة 1921 ويصل عددها إلى 350 خيمة 5.

أما في جماعة الرمانى فإلى غاية الحماية كانت الخيام هي السكن الرئيس للسكان بنسبة 80%، وتناقصت هذه النسبة خلال النصف الثاني من القرن نفسه، أما النوات فقد ظلت ثابتة في حدود 15% طيلة هذه الفترة، ثم ظهور البناء الصلب خاصة بعد خروج الاستعمار الفرنسي من المنطقة وجنوح الساكنة للاستقرار 6. ويبين الجدول التالي نسبة حضور كل سكن على حدة بالجماعة 7.

جدول رقم 6

1 المركد هو المكان الذي تبيت فيه الأغنام وترعى، ويجب أن يكون من تربة محددة مثل الحمري، وله أهمية كبرى في تسمين القطيع.

2 Aubert P, *Le pays des Zaër*, Op.cit, p: 247

4 Quedenfeldt, **Division et Répartition de la population Berbère au Maroc**, Alger, 1904, pp 52 53.

5 Aubert P, *Le pays des Zaër*, Op.cit, p: 232.

6 Bodinier Rajillah Fatima, **Le pays Zaër au Maroc**, du laboratoire de Géographie rurale de l'Université Paul- Valéry et de L'U.R.A.906 du C.N.R.S. Dynamique de l'espace rural, décembre 1991, p :156.

7 Battard.M. et autre, *Habitant rural et développement de la région Romani, stage de développement, IAV*, Rabat, 1980 – 1981.

نوع السكن السنة	الخيام	النوالات	البراريك	البناء الصلب
1947	80%	15%	-	5%
1979	26%	15%	24%	35%

أما على المستوى الديمغرافي فقد عرفت منطقة زعير تحولات ديمغرافية كبيرة خلال بداية القرن العشرين كقبلي القبائل المغربية الأخرى، فمع بداية الحماية كانت قبيلة زعير تضم حوالي 6100 كانونا، أي ما يعادل 36600 نسمة، إذا ما اعتبرنا أن كل كانون يضم ستة أفراد كمعدل عام<sup>1</sup>. خلال سنة 1921 وصل عدد الكوانين إلى 8730 كانونا، أي ما يعادل 46150 نسمة، لينتقل هذا العدد سنة 1936 إلى 58789 نسمة موزعة على 11757 كانونا، أما في إحصاء سنة 1952 فقد وصلت الساكنة إلى 60560 نسمة موزعة على 1211 كانونا، وقد ارتفع عدد الساكنة سنة 1960 إلى 87.441 نسمة بكثافة وصلت إلى 22.68 ن/كلم<sup>2 3</sup>.

تطور عدد الكوانين والسكان بزعير من سنة 1912 إلى سنة 1952

جدول رقم 7

السنوات	1912	1921	1936	1952
عدد الكوانين	6100	8730	11757	12112
عدد السكان بالنسمة	36600	46150	58789	60560

يظهر أن النمو الديمغرافي لسكان زعير كان مرتفعا خلال الفترتين الإحصائيتين الأولى والثانية، أي ما بين سنة 1912 إلى سنة 1936، في حين أن الوثيرة انخفضت خلال المرحلة الممتدة من سنة 1936 إلى سنة 1952، ويرجع ذلك إلى عوامل داخلية كتوالي سنوات الجفاف والهجرة الجماعية نحو المدن الساحلية من جهة، وكذا تأثير الأزمة الاقتصادية سنة 1929 بالإضافة إلى مخلفات الحرب العالمية الثانية التي كان لها تأثير على مختلف مناطق البلاد وسيطرة المعمرين والشركات الفلاحية على الأرض. لذا فكل هذه الأسباب مجتمعة أدت عبر تراكمها وتفاعلها، إلى انطلاق مسلسل واسع من الهجرة القروية نحو المدن منذ أواسط القرن

<sup>1</sup> التركي إبراهيم، إشكالية استدامة الماء بمنطقة زعير بين قلة الموارد وتزايد الطلب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، مرقونة، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، 2008، ص: 89.

<sup>2</sup> Michaux Bellaire, Edouard, **Villes et tribus du Maroc**, Tome III, Op. cit, p: 138.

<sup>3</sup> التركي إبراهيم، م س، ص: 89.

العشرون مما ترتب عنه زيادة ملحوظة في سكان المدن<sup>1</sup>. وتبين الخريطة التالية حجم الكثافة السكانية بمراكز زعير بعيد الاستعمار الفرنسي.

يتضح أن ساكنة زعير عرفت تطورا سكانيا لا بأس به مع بداية القرن العشرين خاصة بين سنتي 1900 و 1936، بفعل تواجد عدة تجمعات سكانية بالقرب من الضيعات الفلاحية التي خلقها الاستعمار الفرنسي خاصة بمراكز الرماني والبراشوة وعين العودة، التي ساهمت في جلب العديد من العمال الذين لا يتوفرون على أراض، لكن خلال النصف الثاني من هذا القرن عرفت الساكنة انخفاضاً واضحاً، ويعزى ذلك إلى الهجرة المكثفة للساكنة خارج منطقة زعير في اتجاه المدن المجاورة للبحث عن فرص شغل أكبر خارج القطاع الفلاحي الشيء الذي كان له الأثر البالغ على ساكنة المنطقة التي عرفت نزيفاً ديمغرافياً حاداً شأنها في ذلك شأن باقي القبائل المغربية الأخرى خاصة بعد احتدام المآسي الناجمة عن تعاقب سنوات الجفاف خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث تكاثرت الاضطرابات جراء انهيار المحاصيل الزراعية، وتعددت النزاعات بين القبائل حول المراعي والماء، والارتفاع المهول للأسعار، وانتشار المجاعة<sup>2</sup>.

#### خاتمة:

ختاماً، يمكن القول إن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها قبيلة زعير خلال القرن العشرين لم تكن مجرد تغيرات ظرفية أو سطحية، بل شكلت منعطفاً تاريخياً عميقاً في مسار المجال والمجتمع الزعيريين. فقد أدى التغلغل الاستعماري وسياسات إعادة هيكلة المجال الفلاحي بزعير إلى تفكك النظام الاقتصادي التقليدي، وإدماج القبيلة تدريجياً في الاقتصاد الرأسمالي الذي فرضته الإدارة الاستعمارية الفرنسية، كما انعكست هذه التحولات على البنية الاجتماعية، وبرزت فئات جديدة، وتراجعت أخرى، وتغيرت أنماط العيش والعلاقات بين الأفراد والجماعات داخل القبيلة من جهة وبين القبيلة والقبائل المجاورة لها من جهة أخرى.

<sup>1</sup> حواش محمد، "البادية المغربية وعلاقتها بالمدينة خلال سنوات الثلاثينات"، ضمن البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق ابراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، الطبعة الاولى، 1999، ص: 180.

<sup>2</sup> كنيب محمد، المحميون، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة نصوص وبحوث ودراسات رقم: 47، الطبعة الأولى 2011، ص: 280.